شهادة الحسين(ع) والثأر المهدوي

- أبعاد العلاقة -

لقد استفاضت الرّوايات الواردة عن أئمّة أهل البيت(ع) في الحديث عن شهادة الحسين(ع)، وما ترتّب أو سوف يترتّب عليها، وخصوصاً لجهة الثّأر له، وما سوف يقوم به الإمام المهدي(ع) وأنصاره من ثأر للحسين(ع) ومقتله.

هذا ولم تقتصر روايات الثّأر على المصادر الشّيعيّة، وإنّما ذكرت العديد من المصادر السنّيّة قضيّة الثّأر للحسين(ع)[1]، وإن كانت المصادر الشّيعيّة أكثر سعة وبياناً، وتفصيلاً لمجمل ما يرتبط بقضيّة الثّأر تلك وأبعادها.

وهنا كان من الضّروري بيان حقيقة الثّأر تلك، وأهمّ القضايا التي تتّصل بها، وذلك بهدف الفهم الصّحيح والاستفادة الهادفة والجادّة من تراث أهل البيت(ع)، ومنعاً لسوء الفهم الذي يضرّ بالعلاقات الإسلاميّة في زمن الفتنة هذا.

وسوف نقتصر هنا - رعاية للاختصار - على أهمّ النّصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت(ع)، وأهمّ الموضوعات ذات الصّلة، من قبيل حقيقة الثّأر، وهدفه، ومن يقوم به، وممّن الثّأر، وزمان الثّأر، وكيف يحصل، والثّأر في زمن الغيبة، ودلالات الثّأر...

1. **حقيقة الثّأر**: إنّ حقيقة الثّأر هنا تتجاوز البعد الشّخصي أو العشائري أو المذهبي للثّأر، إلى بعده الحضاري والإنساني والدّيني.

وحتّى يتّضح لنا المراد بهذا البعد، علينا أن ندرك أمرين:

الأوّل: معنى "الإمام الحسين(ع)" وإمامته.

الثّاني: معنى قتل الحسين(ع) وشهادته.

بالنّسبة إلى الأمر الأوّل يمكن القول إن الإمام الحسين(ع) هو وارث مشروع الأنبياء والرّسل على مرّ التّاريخ[2]، وهو ليس مجرّد سبطٍ لرسول الله محمّد(ص)، وإنّما هو وارث

1- أنظر على سبيل المثال: المتّقي الهندي، كنز العمّال مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1989م، ج 12، ص127؛ المنادي، فيض القدير شرح الجامع الصّغير، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1994م، ط1، ج1، ص265؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 1985م، ج 10، ص 219.

2- لقد جاء هذا المعنى في العديد من زيارات الإمام الحسين(ع)، أنظر: القمي الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004م، ط 1، ص: 478، 479، 492، 505، 510، 515.

مشروعه الرّسالي، وهو وصيّه، وهو إمام أطروحة الأنبياء والرّسل ومشروعهم لتحقيق الإصلاح والعدالة في هذه البسيطة.

أمّا بالنّسبة إلى الأمر الثّاني، فإنّ قتل الحسين(ع) هو عدوان على ما يعنيه الحسين(ع) ويمثّله، أي إنّ معنى قتل الحسين(ع) هو العدوان على مشروع الأنبياء والرّسل وعلى الأطروحة الإلهيّة وأهدافها، بل هو ذروة وخلاصة الظّلم والعدوان الذي تعرّض له جميع الأنبياء والرّسل طوال التّاريخ.

وعليه، فإنّ الثّار للإمام الحسين(ع) يعني الثّار للنّهج الإلهي، ويعني الثّار لمشروع الأنبياء والرّسل وأوصيائهم وأتباعهم، وهو يعني الثّار الأخير والحاسم من جميع تلك المظالم الّتي تعرّض لها ذلك النّهج وأئمّته وأتباعه.

2. **هدف الثّار**: بناء على ما بُيّن من حقيقة الثّار، يصبح واضحاً أنّ هدف الثّار هو القضاء على جميع أُطر الظّلم ومختلف أشكاله وأساليبه، وهو يهدف إلى النّيل من ذلك الجور المتمادي، والطّغيان الموغل، والفساد الذي أضحى سرطان الأرض. وأنّه ليس انتقاماً لشخص، بمقدار ما هو انتقام لذلك النّهج الإلهي ومدرسته وقيمه، والذي يحصل بإسقاط المشروع الذي مارس ظلمه وعدوانه، وما زال يفعل إلى يومنا الحاضر.

وهو ما جاء التّعبير عنه جليّاً في دعاء النّدبة، حيث ورد في مناشدة الإمام المهدي(عج):

«... أَيْنَ المُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ، أَيْنَ المُنْتَظَرُ لِإقامَةِ الاَمْتِ وَالعِوَجِ، أَيْنَ المُرْتَجى لِإزالَةِ الجَوْرِ وَالعُدْوانِ، أَيْنَ المُدَّخَرُ لِتَجْدِيدِ الفَرائِضِ وَالسُّنَنِ، أَيْنَ المُتَخَيَّرُ لِإعادَةِ المِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ، أَيْنَ المُؤَمَّلُ لِإحْياءِ الكِتابِ وَحُدُودِهِ، أَيْنَ مُحْيِي مَعالِمِ الدّينِ وَأَهْلِهِ، أَيْنَ قاصِمُ شَوْكَةِ المُعْتَدِينَ، أَيْنَ هادِمُ أَبْنِيَةِ الشِرْكِ وَالنِّفاقِ، أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الفُسُوقِ وَالعِصْيانِ وَالطُّغْيانِ، أَيْنَ حاصِدُ فُروعِ الغَيِّ وَالشِّقاقِ، أَيْنَ طامِسُ آثارِ الزَّيْغِ وَالأَهْواءِ، أَيْنَ قاطِعُ حَبائِلَ الكِذْبِ وَالإفْتِراءِ، أَيْنَ مُبِيدُ العُتاةِ وَالمَرَدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأصِلُ أَهْلِ العِنادِ وَالتَّضْلِيلِ وَالإلحادِ... أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ المَقْتُولِ بِكَرْبَلاَء؟»[1]

1- القمي الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، م ن، ص 597-598.

أم لماذا يحصل ذلك بإسم الحسين والثّأر له؟ فلأنّه في قتل الحسين(ع) تكثّفت جميع المظالم، ولأنّ العدوان على الحسين(ع) هو خلاصة العدوان وذروته على نهج الأنبياء والرّسل.

3. **كيفيّة الثّأر**: يرتبط الجواب على هذا السّؤال بمعرفة من الذي قتل الحسين؟ فهل الذي قتله زمرة من الأشخاص انتهوا بزوالهم وموتهم؟ أم أنّ الذي قتل الحسين(ع) هو نهج الظّلم والكراهية والعدوان؛ والذي ما زال يتوارثه جيل عن جيل إلى يومنا الحالي، ودهرنا الحاضر؟

في مقام الجواب لا بدّ من القول:

إنّ الذي قتل الحسين(ع) ليس هو مجرّد جماعة أو فئة تخلت عن دينها في غفلة من الزّمن، وليس مجرّد سلطة انحرفت في شطر من الدّهر، وإنّما هو مشروع الحقد والعداء للنّبي(ص) وأهل بيته(ع) والعدوان عليهم، بل العدوان على مدرسة الأنبياء والرّسل، من بداية التّاريخ إلى نهايته.

ولذلك فإنّ الثّأر للحسين(ع) يتحقّق بالقضاء على مشروع العدوان هذا، وكنس جميع آثاره وأنصاره، وهو يتمثّل بإزالة سبيل الظّلم ذاك، والنّيل من نسله وأتباعه والدّاعين إليه.

4. **ممّن الثّأر؟**: تذكر العديد من الرّوايات الواردة عن أئمّة أهل البيت(ع)، أنّ الثّأر هو من ذراري قتلة الحسين(ع) ونسلهم وأولادهم... حيث قد يتوهّم البعض، أنّ الثّأر هنا هو ذو بعد شخصي، أو عشائري، أو مذهبي، أو قد يقال إنّه ما ذنب هؤلاء بفعل آبائهم...؟ وخصوصاً بعد الذي قدّمناه من أنّ الذي قتل الحسين(ع) هو ذلك النّهج، وأنّ الأمر ليس مرتبطاً بأيّ بعدٍ شخصيّ أو قبليّ.

هنا سوف أنقل رواية عن الإمام الرّضا(ع) تؤسّس للجواب المفترض:

عن الهروي: قلت لأبي الحسن الرّضا(ع): يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصّادق(ع) أنّه قال: «إذا خرج القائم(عج) قتل ذراري قتلة الحسين(ع) بفعال آبائها؟»

فقال(ع): هو كذلك، فقلت (أي السّائل): وقول الله عزّ وجلّ ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾؟ قال (أي الرّضا(ع)): «صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين(ع) يرضون

بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قُتل بالمشرق، فرضي بقتله رجل في المغرب، كان الرّاضي عند الله شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم(عج) إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم»[1].

وما يفهم ممّا جاء في هذه الرّواية من أنّ الثّأر هو ممّن (يرضى قتل الحسين(ع) ويفتخر به)، هو أنّ الثّأر سوف يَطلب من يتّخذ من قتل الحسين(ع) نهجاً له ويتبنّاه، أي هو ممّن يتبنّى نهج العدوان على أهل البيت(ع) وشيعتهم. ولذا فإنّ المراد بالذريّة في تلك الرّوايات هو الذّريّة الأيديولوجيّة، وليس الذريّة البيولوجيّة. والمراد بالنّسل هو النّسل الأيديولوجي، وليس النّسل البيولوجي.

5. **من يثأر للحسين**؟: حيث ورد في العديد من الرّوايات الواردة عن أئمّة أهل البيت(ع)، أنّ الذي يثأر للحسين هو الإمام المهدي(ع): لكن بعد الذي قدّمناه من أن قاتل الحسين(ع) هو نهج العدوان عليه وعلى شيعته، وأنّ هذا النّهج ما زال يتوارثه نسل عن نسل في كلّ دهر ومِصر؛ ألا ينبغي القول عندها بأنّ الثّأر للحسين(ع) هو في الثّأر من هؤلاء، في أيّ أرض كانوا أو زمان؟ ألا يعني ما تقدّم بأنّ الثّأر للحسين(ع) ترتفع رايته، متى ما كان هناك قتلة للحسين(ع)؟ وأنّ الثّأر مفتوح بابه، طالما هناك من ينتمي إلى نهج العدوان على الحسين، ويتبنّاه ويرضاه ويفتخر به؟

وما يؤيّد هذا المعنى ما جاء عن الإمام الصّادق(ع)، في قوله تعالى: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ**﴾،[حيث يقول الإمام(ع)]: «قومٌ يبعثهم الله قبل قيام القائم(عج)، لا يدَعون وِتراً لآل محمّد إلّا أحرقوه..»[2]

أمّا فيما يرتبط بما جاء في تلك الرّوايات حول الثّأر المهدوي، فيمكن القول بأنّ الإمام المهدي(عج) يختصّ بالثّأر الأعظم والإنتقام الأكبر، ذلك الثّأر الذي لا ثأر يماثله أو يضاهيه في سعته وقوّته وآثاره ودلالاته؛ ولكن هذا لا يعني أنّه لا ثأر، ولا مراتب أدنى له قبل قيام القائم(عج) وخروجه[3]. وهذا يعني أنّ الممهّدين للمهدي ثأره يثأرون للحسين(ع) كما أنصار

1- المازندراني، مولى محمد صالح، شرح أصول الكافي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، 200م، ط 1، ج 12، ص367.

2- المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م، ط2، ج45، ص297.

3- بل يمكن أن نوسّع البحث لنتحدّث في عدّة مستويات للثّأر: الثّأر الإلهي، والثّأر المهدوي، والثّأر الحسيني، حيث ورد في بعض الزّيارات في وصف الإمام الحسين(ع):"يا ثار الله وابن ثاره" (القمي الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، م س، ص486) والمراد بهذه العبارة "يا ثار الله" أنّ الذي يطلب بثأر الإمام الحسين(ع) هو الله تعالى، فيكون المعنى: يا أيّها الإمام الذي يطلب بثأره الله،

المهدي(عج)، وأنّ جميع من ينتمي إلى مدرسة الحسين(ع) يمكن أن ينال شرف الثّأر، ووسام الانتقام من قتلته وأهل العدوان عليه.

6. **زمان الثّأر**: أي هل يختصّ الثّأر بزمان الظّهور (ظهور الإمام المهدي(عج)) أم أنّه يشمل عصر غيبته(عج)؟

لقد ذكرنا أنّ قاتل الحسين(ع) هو نهج الحقد والعدوان عليه، وعلى أهل بيت الرّسول(ص) وشيعتهم، وأنّ لهذا النّهج نسلٌ في كلّ زمان إلى عصر ظهور المهدي(عج)؛ وإذا كان الثّأر هو ممّن ينتمي إلى هذا النّهج؛ فهذا يعني أنّ زمان الثّأر لا يختصّ بعصر الظّهور، وإنّما يشمل عصر الغيبة، وهذا يعني أنّ يوم الثّأر قد بدأ مذ قتل الحسين(ع)، وأنّ أبوابه قد فتحت في يوم عاشوراء، وأنّها لن تغلق إلّا في عصر الظّهور، بعد أن يبلغ الثّأر وتره، ولا يبقى من نهج العدوان والإجرام من يفتخر به، أو يرضاه ويصوّبه، أو يدعو إليه.

7. **الحسين(ع) والمهدي(عج) وسرّ الوصال**: لا يمكن إغفال ذلك التّأكيد من روايات أهل البيت(ع) على ذلك الوصل بين الحسين والمهدي في قضيّة الثّأر؛ حيث من المشروع طرح السّؤال، أنّه لماذا يختصّ ذلك الثّأر الأعظم بالمهدي وخروجه؟

هنا سوف نحاول تلمّس الجواب من خلال بيان التّالي:

أوّلاً: إنّ قتل الحسين يمثّل ذروة الظّلم وخلاصة العدوان، وأنّ خروج المهدي(عج) يعني قيام العدل وغاية القسط، ولذا كان من المنطقي للعدل في غاية تمكّنه وانتصاره، أن يثأر من الظّلم في ذروة عتوه وعدوانه.

ثانياً: إنّ قيام المهدي(عج) يحتاج إلى طاقة وهدف، وإذا لم يكن هناك أقوى من المظلوميّة في توليد تلك الطّاقة الجيّاشة في عروق المجتمعات وقلوب الأمم وإشعال إرادتها؛ فكيف إذا كانت تلك المظلوميّة هي مظلوميّة الحسين(ع)؛ وإذا لم يكن هناك أسمى من العدالة هدفاً يُسعى إلى تحقيقه، فكيف إذا كانت هذه العدالة هي عدالة المهدي(عج) وقسطه.

ومن هنا كان سرّ الوصل بين مظلوميّة الحسين(ع) وعدالة المهدي(عج). سرّ لغته الثّأر، وغايته هدم الظّلم، وهدفه انتصار العدل وبسط سلطانه؛ حيث أنّه لولا الحسين(ع) لم

أمّا "إبن ثاره" فالمراد بها أنّ الحسين هو بمثابة إبن للثّأر الإلهي، ومن قتل الحسين(ع) فقد قتل إبناً للثّأر الإلهي، وبما أنّ هذا الثّأر الإلهي قد قتل المعتدون إبنَه، لذا فهو سوف يثأر لإبنه، أي للحسين(ع). فيكون معنى "إبن ثاره" بمثابة تأكيد لما جاء في عبارة "يا ثار الله".

يكن من مهدي أو مهدويّة، ولولا المهدي(عج) ما كان للحسين(ع) أن تستمرّ ثورته في قلب التّاريخ، حتّى تصل إلى منشدها الأبعد ووصالها الأخير، يوم خروج المهدي(عج) وظهور دولته، عندما «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

وذلك يومٌ تقرّ فيه عين الملائك، بعد أن ضجوا إلى الله تعالى بالبكاء والنّحيب عند شهادة الحسين(ع)، حيث جاء في الأثر عن الباقر(ع): **«لمّا قتل جدّي الحسين(ع) ضجّت الملائكة إلى الله بالبكاء، فأوحى الله إليهم: قرّوا ملائكتي؛ وعزّتي وجلالي، لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمّة من ولد الحسين(ع)، فإذا أحدهم قائمٌ يصلّي، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم»**[2].

1- الصّدوق، الأمالي، مؤسّسة البعثة، قم، 1417هـ، ط 1، ص 78.

2- الحرّ العاملي، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرّجعة، (دليل ما)، قم، 1422هـ ق، ص231.